المجمع اللغوى
والوحدة العربية
للأستاذ عبد القادر المغربي

لم يكن يدور فى الخلد ، وقد فارقنا هذا البلد ، أن الزمان سيُقصينا عنه أربع سنوات فاتت بين هم لا يُنسى ، وحَذَر لا يُحمى ، وإشفاق ، من مفاجأة إرهاق ، بعد ست سنوات قضيناها دورانها فى مجمع مصر بين إخوان لا يُنسى أنسهم ، ولا يُحمى فضلهم ، ولا يُفترى قريهم

نعم لم ننس ذلك كله ، لكنا نسينا قرارات وضعها المجمع ، شهدنا مصادرها ، ثم غابت عنا مصايرها ، وأعمالاً شاركنا الزملاء فى غرامها ، ثم لم ندر ما ذا كان نتاجها ، عدا شؤوناً أخرى قام بها المجمع خلال غيابنا كنا بها أجهل ، وعن معرفتها أبعد

أقول هذا أيها السادة اعتذاراً عن كلمتى التى أنا فى صدد إلقائها بين أيديكم ؛ فقد جاءت كما يُريد جهلى بما ذكرت ، لا كما يريد الواجب ، ويقتضيه المقام

لكنى مع هذا إذا عجزت عن استخراج موضوع كلمتى من القرارات والمناقشات ، فلن أعجز عن استخراجه من موضوع المجمع وأغراضه التى أنشئ من أجلها

يكاد لا يفهم الجمهور من وظائف المجمع إلا أن عليه أن يتتبع الكلمات الدخيلة والأعجمية المتفشية فى لغته اليومية ، وأن يستبدل ألفاظاً عربية بها ، حتى كأن هذا العمل أو هذا الغرض هو كل ما يُرتجى من المجمع . وقد نسوا ما للمجمع من فضل فى توفية الأغراض حقها ، ولا سيما وضع ألوف الكلمات للغة الدراسة أى لغة العلوم والفنون

لما عاد رئيس وزارتنا السورية دولة سعد الله بك الجابرى من مصر زرناه مسلمين فكان مما أطرفنا به من أخبار رحلته أنه سأل أحد وزراء مصر عن مجمعهم اللغوى ، فأجابه معاليه : يكفى من حسنات مجمعنا أنه زوّد وزارتى وحدها بنحو ألف كلمة جديدة يتداول استعمالها الموظفون فيها وفى سائر المصالح التابعة لها

ينسى الجمهور هذا ويتساءلون : ما ذا صنعت مجامعنا اللغوية بما تجدد وفشا من الألفاظ الأعجمية خلال هذه الحرب الماضية فى سبيلها ، والتى ما زلنا نقاسى من عقابيلها ؟

ما ذا صنع حُماة اللغة ، النُّير على سلامتها بكلمات : براشوت ، شتوكا ، جستابو ، كوماندوس ، ستراتيجية ، ستوديو ، برازيت ، كورس ، وكلها أعجميات ؟ وهل أقر المجمع كلمات عربية حديثة الوضع يكثر استعمالها فى لغة الراديو والصحافة ، ولم تعرفها معاجمنا بمعناها الاصطلاحى الجديد مثل : ذبذبة ، وقطاع ، وسجّل إصابتين ، وقدم عروضاً . وكانت المبادهة فى الحرب هذه المرة للروس ، وحملة أميركية برمائية

وهل يقر المجمع أبناء الضاد إذا قالوا : كان الفتيان فى تلك الحفلة مسرولين بالشورت ، والفتيات ملثمات بالأيشارب ؟ وبالجملة أين تقع تلك الألفاظ والتراكيب من معاجمنا المتيبسة ؟ هل يفسح لها فيها مكان يا ترى أو لا ؟

وعهدى ببعض الزملاء أنهم يرون قبول ما يطرأ على اللغة من أمثال تلك الكلمات الأعجمية ، وبعضهم يمنع ذلك ويعدّه مفسداً للغة ، منافياً لسلامتها

وهما رأيان بدءا يتصاولان منذ زمن الشيخ رفاعة الطهطاوى ، أو نقول منذ عهد الترجمة الأول . وما زالا فى الصيال حتى أسلما أمرهما أخيراً إلى مجمع فؤاد نزولا على حكمه

حقاً إن مسألة التعريب أو نقول : إن التردد فى قبول الكلمات الأعجمية وعدم قبولها أخل بنهضتنا اللغوية وأخرها إلى الوراء أكثر من نصف قرن .. ولقد كان التعريب من أعظم الأغراض التى ينبغى أن تُعنى بها المجامع اللغوية . وهو فوق ذلك موضوع معقد خطير . ولم ننس بعد ما كان من اختلاف الرأى حول وضع اصطلاحات عربية للجيش المصرى مكان اصطلاحاته القديمة ، وكم عالم غيور من رجال نهضتنا الحديثة قضى نحبه وبقلبه شىء أو حسرة من التعريب

ومن أكبر الأدلة على خطورة أمره وتعقد مشكلته أن زميلنا وفقيد مجمعنا الشيخ حسين والى كان قدم إلى المجمع تقريراً

مسهباً بعنوان (المعرَّب) أودعه كل ما قاله علماء العربية بشأنه . انتتحه بقوله : « قال الجوهرى : إن تعريب الإسم هو كذا وكذا » إلى أن اختتمه بقوله : « وفى القاموس . البَرد معرب وهو فارسى » هكذا ابتدأ وهكذا انتهى . ولم يجرُؤ رحمه الله — وهو بطل العلم الجرىء — على إبداء رأى من عند نفسه فى مشكلة هوان بحثها ، وقد اصطنع تقريره من أجل حلها

بَلَى جرأ المجمع نفسه فأجاز التعريب ، وقال فى جملة قراراته التى أصدرها فى سنته الأولى ما نصه : « يُجيز المجمع أن تُستعملَ بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب فى تعريبهم » اهـ . لكن عاد الخلاف فاحتدم حول كلمة (الضرورة) وتحديد معناها والقدر المراد منها ، حتى أصبحت الحيرة فيها أشد من الحيرة فى التعريب نفسه ، وظلت الكلمات الأعجمية سادرة فى غُلوائها ، مُرخية من عنانها ، تسرح وتمرح فى جنبات لغتنا ، وأجواء صحافتنا ، وفى أحاديث الراديو التى يُذيعها بصوته الجهورى وسحره العبقرى .

* * *

ما لنا ولهذه الكلمات وفى موقف مجمعنا منها ، ولنُقبل بشراشر قلبنا على موقف جديد للمجمع يرفع شأنه ، ويضاعف عمله ، ويوسع نطاق رسالته

ذلك مايكون حينما يتحقق المشروع الأعظم أعنى مشروع اتحاد الممالك العربية الذى يعمل له ، ويتقرب إلى الله به جلالة الملك الصالح فاروق الأول ، وينفِّذُ إرادته فيه عضد دولته رفعة النحاس باشا

تعلمون أيها السادة أن وحدة أمة من الأمم لا تتحقق ما لم يتحقق استقلال لغتها . قال بعض فضلاء الكتاب المصريين : « يجب أن نفكر فى توحيد اللغة قبل أن نفكر فى توحيد الأقاليم ، ونجتهد فى أن يكون للعرب كافة لغة واحدة يتلاقون عندها ، كما يتلاقون فى جبل عرفات »

ولا يخفى أن الغرض الأول من مجمع فؤاد الأول إنما هو وحدة اللغة العربية وسلامتها . فمن وظائف المجمع إذن مشاركة العاملين من طريق غير مباشر فى تحقيق أمر الوحدة العربية الشاملة التى يضطلع بأعبائها جلالة المليك المحبوب

إذا تحقق اتحاد الأقاليم العربية كان المجمع لهذه الأقاليم كلها لا لمصر وحدها ، وكان عليه أن يتصل بها اتصالاً يشمل اللغة من جميع نواحيها : فيدرس لغاتها ، ويعمل المقارنة بين لهجاتها ، ويستفيد من مزاياها وخصائصها ، ويرسل إليها من مطبوعاته ما يساعد على توحيد تلك اللغات واللهجات أو التقريب بينها على الأقل

لا جرم أن المشروع الفاروقى ، سيخلق للمجمع الفؤادى وظيفة جديدة وعملاً مستأنفاً

وفى جزيرة العرب مجال واسع للعمل : من ذلك مثلاً بعثة إلى نجد ، وأخرى إلى الحجاز ، وثالثة إلى اليمن ، وهلم جرا .

نحن فى ذلك اليوم السعيد ، وإذا رئيس مجمعنا المصرى يعلن أنه تلقى من رئيس بعثة اليمن تقريراً قال فيه : إن البعثة زارت جبل (عكاد) فرأت أهله كما وصفهم ياقوت والفيروزابادى والزبيدى :

قال القاموس وشارحه الزبيدى : (عكاد كسحاب جبل باليمن قرب زبيد أهله باقون على اللغة الفصيحة إلى الآن ولا يقيم الغريب عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفا على لسانهم . اهـ)

والزبيدى يمنى نشأ فى اليمن قريباً من جبل عكاد وتوفى بمصر منذ مئة وخمسين سنة . وقال ياقوت فى معجم البلدان : (جبلا عكاد فوق مدينة الزرائب وأهلهما باقون على اللغة العربية من زمن الجاهلية إلى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من أهل الحضر فى مصاهرة ، وهم أهل قرار لا يظعنون عنه . اهـ)

وحدثنى العلامة المرحوم الشيخ أحمد الإسكندرى فى إحدى جلسات مجمعنا هذا قال : إن السيد عبد الرحمن الكواكبى المعروف فى القاهرة أخبره أنه فى أثناء سياحته فى جزيرة العرب مرَّ بجبل عكاد المذكور فوجد أهله كما وصفهم ياقوت والفيروزابادى والزبيدى . قال الكواكبى : ولكن العكاديين يسكنون أواخر الألفاظ ولا يُلحقون بها حركات الإعراب . وعقب الإسكندرى على هذا بقوله : يظهر من قرائن الأحوال ومن طروء الشذوذ على الأفكار أن اللغة العربية ستفقد فى المستقبل مزيتها هذه . فقلت للشيخ الإسكندرى ، وقد بدأنا العمل بتلك الرخصة حينما نقرأ